اسم الأستاذة: د/ فوزية بوالقندول

المقياس: السرديات العربية الحديثة و المعاصرة

السنة: الثالثة ليسانس

التخصص: أدب عربي

النوع: محاضرة

الأفواج: 1أ/ 1ب/ 2أ/ 2ب/ 3أ/ 3ب/ 4أ/ 4ب/ 5أ/ 5ب/ 6أ/ 6ب

المجموعة: الأولى

المحاضرة الأولى

مدخل إلى السرديات العربية الحديثة و المعاصرة

تقديم:

تخضع النظرية السردية إلى المفاهيم الأجناسية الكبرى، حيث يشيع بين الطلبة و الباحثين خلط كبير بين النوع الأدبي و الجنس الأدبي، مع أن النظرية الأجناسية هي الأشمل و الأكبر، حيث يعدّ السرد جنسا و كل ما يتفرع عنه هو نوع. و من الأنواع ما هو قديم كالملحمة و السيرة الشعبية و الحكاية و

الخرافة و الأسطورة و الأمثولة و المقامة، و منها ما هو حديث كالقصة و الرواية و المسرحية و الفيلم و السينما.

1_مفهوم السرد: يرى الناقد "فاضل ثامر" أن الفعل narrate بالإنجليزية قد ترجم إلى العربية بلفظة "سرد" و تعني قصّ و السرد هو القصّ أو الحكي. و يرى "سعيد يقطين" أن السرد لا يكون بوسيلة واحدة هي الكتابة و حسب حيث يقول:" السرد هو نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور و جعله قابلا للتداول سواء كان هذا الفعل شفاها أو كتابة". و قد جمع هذا التعريف بين بين ثنائية الشفاهة و الكتابة دون أن يقتصر على أحدهما مادام السرد فعلا إنسانيا حاضرا في كل مناحي الحياة الإنسانية.

و إذا عدنا إلى مصطلح narratologie و الذي يعني "علم السرد" فإن اللفظة التي صاغها الناقد الروسي "تزيفيطان تودوروف" عام 1969 لم تعد تجيب عن السؤال التقليدي : ماذا يقول النص؟ و إنما تسعى للإجابة عن السؤال الجديد: كيف يقول النص ما قاله؟ بمعنى أن علم السرد لا تعنيه الفكرة أو المضمون بقدر ما تعنيه الكيفية أو الطريقة التي كتب بها النص. فهو البحث في الأساليب و الصيغ. و بالتالي فإن أيّ سرد أو حكي يقوم في الواقع على دعامتين أساسيتين هما :

أ/ أن يحتوي على قصة ما، تضمّ أحداثا معينة.

ب/ أن يعيّن الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، و تسمّى هذه الطريقة سردا، و ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة، و لهذا فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي.

2_السردية العربية: من النقاد العرب الذين تبنّوا مصطلح "السردية" نجد صاحب موسوعة السرد العربي الناقد "عبد الله إبراهيم" الذي برر استخدامه لهذه اللفظة كمقابل لمصطلح "الشعرية" بقوله: " ...مصطلح "السردية" الذي استخدمناه باعتباره المصطلح الأدق و الأكثر تعبيرا عن المفهوم، و جعلناه عنوانا لبحث الدكتوراه عام 1988 إذ أوضحنا بأن المصدر الصناعي في العربية يدل على حقيقة الشيء و ما يحيط به من الهيئات و الأحوال ، كما أنه ينطوي على خاصية التسمية و الوصف معا. ف"السردية" بوصفها مصطلحا تحيل على مجموعة الصفات المتعلقة بالسرد و الأحوال الخاصة به، و التجليات التي تكون عليها مقولاته، و على ذلك فهو الأكثر دقة في التعبير عن طبيعة الاتجاه الجديد في البحث...". و على ما يبدو فإن عبد الله إبراهيم قد تبنى هذه الصيغة اقتداء بصيغة "الأدبية" و "الشعرية" اللتين لقيتا صدى كبيرا في الأوساط النقدية إضافة إلى أن السردية كما الشعرية هما فرعان منبثقان من "الأدبية" التي تبحث في الخصائص العامة التي تجعل من نص ما أدبا.

المحاضرة الثانية

اتجاهات الرواية العربية

أولا/ الاتجاه التاريخي

عندما نتحدث عن الاتجاه التاريخي في الرواية العربية فإننا نستحضر ثلاثة حقول معرفية هي:

أولا/ كتابة التاريخ:

تدوين التاريخ حقل معرفي صارم له قواعده و أصوله و أدواته و مصادره و آلياته، وله مختصوه "المؤرخون"، و هو علم قديم عرفناه مع "الطبري" في تاريخه و "المسعودي" في "مروج الذهب" و مع "ابن خلدون" في كتابه "التاريخ". و من المعاصرين نذكر " أبو القاسم سعد الله" في كتابه الموسوعي "تاريخ الجزائر الثقافي" (تسعة مجلدات).

ثانيا/ الرواية التاريخية:

هي تجسيد لأحداث تاريخية بأسلوب قصصي مشوق لغرض تعليمي عموما، أي تعليم الناس التاريخ في قالب قصصيّ بإضفاء توجه معين و هذا حتى يقبل الناس على قراءة تاريخهم دون ملل. و أشهر من تزعم هذا التوجه هو "جورجي زيدان" صاحب الديانة المسيحية، إذ كتب كمّا معتبرا من الروايات التاريخية الإسلامية ليحقق بعض أهدافه الدينية مثال ذلك رواية "العباسة أخت الرشيد". فالملاحظ أنه نسب الأميرة "علية بنت المهدي بن المنصور" المدعوّة بالعباسة إلى أخيها "هارون الرشيد" و ليس إلى أبيها المهدي كعادة العرب و العجم و يقول المؤرخون إن غرضه في ذلك هو الطعن في "هارون" و ليس تمجيده. و قد ركز "جورجي" فيما أسماه "سلسلة روايات التاريخ الإسلامي" على عنصر التشويق و الإثارة بهدف حمل الناس و تشجيعهم على قراءة التاريخ، إذ شاع في عصره تذمر الناس من كتب التاريخ و انشغالهم بالسير الشعبية و بعض الحكايات التافهة. و الجدير بالذكر هنا أن

الرواية التاريخية قد أفل و اضمحل نجمها لأن السينما و الدراما قد حلت محلها فالتاريخ اليوم صار يشاهد و لا يقرأ. حتى التاريخ القديم تمّ توثيقه بالسينما و التلفزيون و لم نعد نسمع برواية تاريخية و قد لا يقبل عليها الناس إن رأوها على رفوف المكتبات.

ثالثا/ التخييل التاريخي:

هذا المصطلح لعبد الله إبراهيم و معناه: انفتاح الرواية على التاريخ، أي حضور التاريخ في الرواية المعاصرة و هو أيضا استفادة الكاتب من الأحداث التاريخية الحقيقة و إدماجها بطريقة فنية داخل الرواية بحيث يصعب التفريق بينها و بين السرد الروائي. و هو كذلك استثمار التاريخ في قالب درامي.

و من خصائصه أن الشخصية في التخييل التاريخي لا تبقى أسيرة الماضي حيث تتحول من شخصية تاريخية إلى شخصية روائية. و في هذا السياق نذكر الروائي المغربي "بنسالم حميش" الذي أبدع في هذا النمط من الروايات خاصة في روايته "مجنون الحكم" و من الجزائر الروائي "واسيني الأعرج" في روايته "كتاب الأمير".

نستنتج مما سبق أن الرواية المعاصرة ذات البعد التاريخي هي رواية يشتغل فيها صاحبها على موضوع التاريخ دون أن يسجن نفسه في أحداثه بل يعيد إنتاج التاريخ وفق ما تقتضيه رؤيته الدرامية التخييلية.

المحاضرة الثالثة

ثانيا/ الاتجاه الواقعي

أولا/ حول مصطلح "الواقعية":

إن كثيرا من الناس يعتقدون أن الواقعية وجدت كرد فعل على الرومانسية، و هذا الاعتقاد فيه كثير من المغالطات "ذلك لأن المدرسة الواقعية أصيلة الجذور في الأدب، و لكنها لم تعرف _اصطلاحا_ كمذهب من مذاهب الأدب و مدارسه المعاصرة إلا في القرن الثامن عشر". و يعود الخطأ في هذا الاعتقاد إلى مبررات منها:

1_أن بعضهم لا يفهم من الواقعية غير معناها السطحي و هي تسجيل الواقع كما هو مجردا من أي خيال و كأن الواقعية معارضة دائما للرومانسية.

2_و منهم من يفهم الواقعية كمقابل للأرستقراطية و أن الأدب الواقعي جاء ليصور الحياة الاجتماعية و المشاكل اليومية لعامة الناس، بينما يصور الأدب الأرستقراطي طبقة المترفين و يناقش معضلاتهم الفلسفية (على أساس أنهم من طبقة مثقفة...) و النفسية.

3_و منهم من يرى أن الواقعية معناها: الأدب الموضوعي البحت، و كأنهم يتخيلون أن هناك فرقا بين واقع الموضوعات و واقع النفس الفردية. أي أن النفس أو الذات لا يصلح مادة للأدب الواقعي.

_المفهوم المعتمد للواقعية:

إن المفهوم الحقيقي لهذا الاصطلاح، يقابل _عند الغربيين_ لفظ "المثالي"، فكلمة "الواقعية" تقابل دائما كلمة "المثالية" . فالواقعية تمثل الجانب الواقعي من الحياة بينما تمثل " المثالية " الجانب المثالي. و يرى أصحاب المذهب الواقعي أن " الحياة كلها شر و وبال و أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إذا لم يكن ماكرا مخادعا بينما ترى المثالية عكس ذلك تماما، فالحياة في نظر المثاليين خير و سلامة و الإنسان في نظرهم طيب خيّر و كلما كان بعيدا عن المكر و الخداع و الحيل كلما كان أقرب إلى السعادة، فالنظرتان مختلفتان كل الاختلاف".

و عليه يمكننا القول إن " الأدب الواقعي هو انعكاس الواقع الخارجي في نفس الأديب و ليس رسما مجردا له... أو هو صورة للواقع ممزوجة بنفس الأديب و قدراته على التصوير الفنيّ". و يرى الواقعيون أن "الأدب ظاهرة اجتماعية، أفرزها الواقع و الظروف المختلفة و ليس صورة مثالية للأشياء..".

و أهمّ مصطلح واكب ظهور الواقعية هو "الالتزام" و ليس المقصود منه الجانب الأخلاقي، و لكن معناه ينصبّ في فكرة جوهرية مفادها أن الالتزام " يعني أمانة التعبير عن أهداف معينة تخدم فكرة معينة و يعني أيضا اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا مجرد تسلية، غرضها الوحيد المتعة و الجمال".

ثانيا/ تجليات الواقعية في الرواية العربية المعاصرة:

أ/ الشخصية: تميل الرواية الواقعية إلى اختيار البطل المقموع، المهمّش، المطحون، الذي يشعر بالاغتراب و كذلك البطل السلبي المتخاذل، و هذا التصوير نابع من قناعة بأن هؤلاء الأبطال هم نماذج واقعية من الحياة. و أشهر من كتب في هذا الاتجاه عربيا هو نجيب محفوظ بمجموعة هائلة من الأعمال الروائية التي تبين موقفه من القيم الاجتماعية السائدة التي يعكسها النظام، و ما يعانيه المجتمع المصري من ظلم و كنماذج عن هذه الأعمال نذكر: "القاهرة الجديدة" و "زقاق المدقّ" و "خان الخليلي". و قد دارت معظم أحداث رواياته في الحارات الشعبية لصدق مضمونها و صلتها الروحية بالوجدان الشعبي.

ب/على مستوى المضامين (الثيمات): سيطرت فكرة العدالة الاجتماعية و المساواة على الرواية الواقعية كما سيطرت فكرة الحريات و مواجهة الظلم و نقد الواقع المرير المليء بالتناقضات و الآفات، فعالجت موضوعات تتصل بالتفاصيل اليومية للفرد وسط الراهن الملتبس.

ج/ على مستوى اللغة: نلمس خاصية هامة على المستوى اللغوي حيث يسعى الكاتب إلى إخراج اللغة من " المستوى الميكانيكي إلى المستوى الانزياحي الذي يتيح له أن يسخر لغته لمعان كثيرة توسع دلالتها".

و قد تتعد مستويات اللغة الروائية بين الفصحى و العامية بحسب المستوى الثقافي و الاجتماعي لشخصياتها، فلا يمكن أن يجعل لغة شخصية ذات مستوى ثقافي بسيط كلغة شخصية مثقفة جامعية أو إعلامية...و عليه ينبغي للكاتب احترام المستوى الأفقي للشخصيات(أي الانتماء الجغرافي) و المستوى اللساني العمودي (أي انتماء الشخصيات لسلم اجتماعي طبقي أو تاريخي).

المحاضرة الرابعة

الاتجاه الوجودي في الرواية العربية

1_ماهي الوجودية؟

الوجودية تيار فلسفي ظهر في القرن العشرين. قوامه الوجود الإنساني، ركز على أهمية وجود الفرد في هذا الكون من خلال طرح السؤال الفلسفي: من أنا؟ و لماذا أنا موجود؟ و قد طرحت هذه الأسئلة بعد الدمار و التقتيل البشع الذي خلفته الحرب العالمية الأولى. و هو ما جعل فلاسفة القرن العشرين يطرحون سؤال: أي قيمة للبشرية إذا كانت تموت بهذا الشكل المريع؟ و أي

قيمة للإنسان إذا لم ينعم بإنسانيته؟؟ فما كان من أصحاب هذا التيار إلا نشر فكرة قيمة الإنسان في هذا الوجود عبر المسرح و الشعر و الأدب بشكل عامّ. و يعدّ الفيلسوف "جون بول سارتر" الأب الروحي للوجودية خاصة في فرنسا لا سيما بعدما كل ما شاهده من بشاعة في الحرب ضد المانيا حين كان جنديا في الجيش الفرنسي فجاءت أفكاره عن قيمة وجود الإنسان مجسدة في مسرحية "الذباب" و "اللاّمخرج" و "المنتصرون" إضافة إلى أسماء فلسفية وجودية أخرى مثل الفرنسي "غابرييل مارسيل" و الألماني "كارل ياسبرس" و كذلك "سيمون دي بوفوار".

2_أقسام الوجودية: تنقسم الوجودية إلى قسمين كبيرين:

أ/ الوجودية الدينية: و قد تمّ التركيز فيها على الديانة المسيحية و سميت باسمها (الوجودية المسيحية)، و يعدّ "غابرييل مارسيل" أشهر من سيطرت عليه هذه الفلسفة نظرا للنزعة التفاؤلية التي كان يتمتع بها فكره الوجودي، حيث كلن يرى أن الإيمان بالرّب يجعل الإنسان قادرا على حل مشكلاته.

ب/ الوجودية الملحدة: و هو اتجاه خطير في الفكر الوجودي تزعّمه "سارتر" و "ألبير كامي" حيث ينكر أصحاب هذا التيار وجود الله أصلا، و يرونه إلاها عاجزا عن حلّ معضلات الإنسان ، كما رأوا أن الإنسان هو من خلق نفسه.

3_الوجودية العربية:

تسللت الوجودية إلى الفكر و الأدب العربيين بين نهاية الأربعينيات و منتصف الستينيات من القرن الماضي، متأثرة خاصة بأعمال سارتر التي ترجمت إلى العربية. و توصف موجة "الوجودية العربية" كظاهرة أدبية و فكرية غلب عليها التّسييس(من سياسة) نظرا لأنها لمعت بين مرحلتين سياسيتين و تاريخيتين هامّتين هما:_ نهاية العصر الكولونيالي الاستعماري الأوروبي في البلدان العربية متزامنا مع النكبة الفلسطينية و هزيمة العرب في 1948 .

_ و نكسة حزيران أو ما يعرف بحرب الستة أيام سنة 1967 بين العرب و اليهود.

و قد بزغ نجم الوجودية العربية على يد أول فيلسوف معاصر هو "عبد الرحمان بدوي" عن أطروحته في الدكتوراه عام 1944 بعنوان :"الزمان الوجودي" التي تأثر فيها بفلسفة الكينونة عند الألماني "مارتن هايدغر" خاصة في كتابه "الوجود و الزمن". و في سنة 1945 أصدر "بدوي" كتابه الشهير "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" حيث حاول فيه توضيح الفروق بين الإلحاد الغربي القائم على إنكار وجود الله و الإلحاد الإسلامي القائم على إنكار "الوسيط النبوي بين الألوهية و الإنسان".

و يرى نقاد الأدب أن الوجودية السارترية قد لاقت إقبالا كبيرا في الشارع العربي و قد ظهر ذلك من خلال المجلة الوجودية التي أسسها "سهيل إدريس" بعنوان "مجلة الآداب" متأثرا بمجلة "الأزمنة الحديثة" التي كان يشرف عليها

"سارتر". كما ظهر في تونس الأديب الوجودي "محمود المسعدي" خاصة في روايته "حدث أبو هريرة قال..." و قد حاول المسعدي الابتعاد عن الوجودية السارترية و الغربية عموما في هذه الرواية ما جعل الناقد " محمود طرشونة" يقول عن المسعدي:" الوجودية أسلمت على يد المسعدي".

و من الجزائر نذكر الروائي "سمير قسيمي" الذي وظف الفلسفة الوجودية خاصة في روايته "يوم رائع للموت" التي نال بها جائزة "البوكر" سنة 2009. و قد تجلت الوجودية من أول النص أي من العنوان، إذ صار للموت يوم رائع حيث اتخذ البطل قرار إنهاء حياته بعد أن كتب إلى نفسه رسالة و بعثها بالبريد إلى بيته يشرح فيها أسباب انتحاره و هو المثقف الفقير المصدوم في قيم مجتمعه الفاسد المنحل.

نستنتج ممّا سبق أن الوجودية العربية استمدت مرجعيتها الفلسفية من الوجودية الغربية خاصة "سارتر" و "كامي" و حاول الأدباء بمختلف توجهاتهم و ميولاتهم الأدبية أن يجسدوا معاني الاغتراب و القلق و الشك و العبث و الوجود و الكينونة الإنسانية في كتاباتهم الأدبية الشعرية منها و السردية.